كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية.
قسم التاريخ
السنة الثالثة ليسانس.
المادة: تاريخ الثورة التحريرية 1954-1962.
الاستاذ: د. مكاوي محمد.
البريد الالكتروني: mohamed.mekkaoui@univ-tlemcen.dz
المحاضرة: 05

عنوان المحاضرة: هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت1955

تقديم :

تعتبر هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955 محطة هامة من تاريخ الثورة التحريرية، إذ تميزت الهجومات بشمولية العمل المسلح واستمراريته، حيث قررت قيادة الثورية شن هجومات على مراكز العدو في المدن الواقعة بالمنطقة الثانية، فمن أين أتت فكرة الهجومات؟ وكيف تم التخطيط لها، وما هي أبرز المناطق التي شملتها؟، وما هي أبرز نتائجها؟، وكيف كان رد فعل الاستعمار الفرنسي؟.

أولا: فكرة ودوافع الهجومات:

أجمعت المصادر التاريخية على أن زيغود يوسف هو صاحب فكرة الهجوم، حيث أن الاستعدادات لهذا اليوم بدأت في جوان 1955 وفي هذا الصدد يقول علي كافي: "أن فكرة عملية 20 أوت 1955 كانت بمبادرة شخصية من البطل الشهيد يوسف زيغود وتحمل خطورة مسؤولية نتائج العملية إن لم تصر على ما يرام وحسبما يرجى منها". وقد حاول زيغود يوسف أن ينظم هذا الهجوم في كامل التراب الوطني لمدة أسبوع ولكن نظرا لخطورة القرار، وظروف الثورة في تلك الفترة التي لم تكن تسمح بهجوم شامل على كامل القطر اكتفى بتنظيمها في المنطقة التي كان يقودها وهي منطقة الشمال القسنطيني.

وعن الدافع القوية للقيام بهذا الهجوم يذكر علي كافي بأن الخلفيات الأساسية التي سطرتها قيادة المنطقة، للإعداد لـ 20 أوت هي تحصين الثورة وحمايتها خاصة من عمليات الاعتقال وصعوبة الاتصالات ومحاولة خنق الثورة في المهد من طرف القوات الاستعمارية.

ويؤكد صالح بوبنيدر لما سئل عن أحداث 20 أوت ومشاركته فيها : " أن رد الفعل الاستعماري على الثورة نوفمبر، تركز في البداية على الأوراس التي تحملت وحدها أعباء الثورة طيلة أشهر السنة الأولى، وكان أحد جنرالات فرنسا، وأظنه الجنرال بارلانج- قد صرح يومئذ في هذا الصدد:" إن التمرد يجب أن يدفن حيث ولد"، وأمام هذا الضغط المكثف على المنطقة الأولى تلقى زيغود رسائل من شيحاني بشير مفادها:" لابد من عمل شيء لتخفيف الضغط، ومشاركتنا أوزار الحملة الاستعمارية المسعورة علينا". واستجابة لذلك النداء الملح، أخذ زيغود يفكر في الجواب المناسب إلى أن اهتدى لفكرة 20أوت ...".

وقد عبر زيغود يوسف عن أهمية الهجوم بالنسبة للثورة التحريرية حيث قال: " اليوم أصبحت القضية قضية موت أو حياة، ففي نوفمبر كانت مسؤولياتنا تنحصر في تحرير الوطن وتنفيذ الأوامر، ولكن اليوم وجب علينا أن نختار إحدى الطريقتين إما أن نشن غارات عامة يحدث من جرائها الانفجار الشامل، وبالتالي نحث كل الجهات على مضاعفة عملياتها، وإيداع صوت كفاحنا بكل

صراحة على المستويين الداخلي والخارجي، وإما أن يكون هذا بمثابة برهان على أننا عاجزون أن نقود هذا الشعب إلى الاستقلال"

ثانيا: التحضير للهجومات :

وجه زيغود يوسف قائد منطقة الشمال القسنطيني في أوائل جويلية1955 دعوة إلى كافة المسؤولين المنطقة للحضور إلى المكان المسمى "بوساطور" قرب قرية مزغيش الواقعة جنوب غرب مدينة سكيكدة، على بعد 35كلم لعقد اجتماع لإعداد خطة الهجوم، غير أن الظروف الأمنية للمنطقة حالت دون ذلك، فوقع الاختيار على المكان المسمى" جبل الزمان" (الحدائق الحالية)، وهو يبعد بأربعة كيلومترات عن مدينة سكيكدة، حيث تميز مكان الاجتماع بموقعه الاستراتيجي، فهو مرتفع على الأماكن المحيطة به وحصين، وبعيد عن الطرق والمسالك وتتخلله غابات كثيفة تحجب المجتمعين بها، وهي تمنع العدو من اكتشافه ومن الوصول إليه بالإضافة إلى كون المتمركزين به يستطيعون من أماكنهم مراقبة أي تحرك للعدو في هذه الناحية.

انطلقت أشغال الاجتماع التحضيري للهجوم يوم 23جويلية 1955واستمر إلى نهاية الشهر تحت إشراف زيغود يوسف وقد حضره ما يزيد عن 100 مجاهد من بينهم عبد الله بن طوبال، عمار بن عودة، على كافي، محمد الصالح ميهوب، بوضرسة عمار ،إسماعيل زيغات، مسعود بوجريو المدعو (سي مسعود القسنطيني)، صالح بوبنيدر المدعو (صوت العرب)، بشير بوقادوم، عمار شطايبي، محمد رواى المدعو الرواية وغيرهم، وخلال الاجتماع الذي عقده زيغود يوسف مع ضباط المنطقة تم التخطيط لهجومات 20 أوت 1955، كما حددت الاهداف العسكرية والسياسية التي تصبو إلى تحقيقها بعد هذه الانتفاضة، وذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي .

-الأهداف العسكرية:

1- فك الحصار المضروب على منطقة الاوراس وبعض المناطق المجاورة لها.
2- تحطيم أسطورة الجيش الذي لا يقهر، فقد أثبت هجوم 20 أوت 1955 قدرة جبهة التحرير الوطني على التخطيط والتنسيق والتنفيذ، وضعف دفاع العدو أمام هجومات جيش التحرير الوطني المدعم بالجماهير الشعبية.
3- تأكيد استمرارية وشمولية الثورة المسلحة لمختلف أنحاء البلاد عكس ما يدعيه العدو.
4- لرد على عمليات الإبادة والتقتيل الجماعي والنفي الممارسة من طرف قوات الجيش الفرنسي، وذلك بعد الإعلان عن قانون حالة الطوارئ.
5- تسهيل تنظيم طريق القوافل نحو تونس" طريق السلسلة" للإتيان بالأسلحة والذخيرة الحربية، حيث أقيمت المراكز على طول الطريق.
6- إعادة الثقة وتعزيز روح القتال لدى المجاهدين، وبث الرعب في نفوس المعمرين .

-الاهداف السياسية :

1. سعي القيادة في الداخل للقيام بعمل عسكري حتى تكون هذه الأعمال سندا للمثلين السياسيين في الخارج
2. تكذيب أقاويل وادعاءات الاستعمار بتبعية الثورة الجزائرية لبعض العواصم الخارجية، واثبات وطنية الثورة وشعبيتها.

3. انضمام بعض تيارات الحركة الوطنية والشخصيات السياسية الجزائرية بصفوف جبهة التحرير الوطني لتوحيد الجهود من اجل تحقيق الاستقلال.
4. القضاء نهائيا على سياسة الإصلاحات الفرنسية المزعومة وعلى رأسها سياسة "سوستيل" الإصلاحية.

ثالثا: سير الهجومات:

تقرر خلال الاجتماع أن تدوم الهجوم ثلاثة أيام متتالية من 20 أوت إلى 22 أوت 1955، وزعت خلالها المهام لتنفيذ العديد من العمليات، وأولى المسؤولون في اجتماع الزمانّ عناية فائقة لتحديد مواقع الهجوم، حيث اختير تسع وثلاثون (39) هدفا مست كل من قسنطينة، الخروب، فيليب فيل (سكيكدة حاليا)، القل، عين عبيد، وادي الزناتي، كلارمان(المجازر حاليا)، كوندي سمندو (زيغود يوسف حاليا)، الحروش، وسان شارل(رمضان جمال حاليا)، غالبيدي (بواتي محمد حاليا)، قالمة، جماب(عزابة حاليا)، الميلية، أسطورة، فلفة(مناجم العالية). ولقد وقع الاختيار على هذه الأماكن نظرا لوجود منشآت عسكرية واقتصادية من مطارات، موانئ، مراكز الشرطة والدرك، والمصانع وخطوط السكك الحديدية والمحلات التجارية وأماكن ترددهم كالمقاهي، وتعرف هذه المدن تواجد كبيرا للكولون إذ يبلغ عددهم حوالي 120.000 نسمة.

اعتمد الهجومات على أسلوب حرب العصابات وبعد عملية جمع الأسلحة، والتي كانت جد تقليدية كبنادق ومسدسات وأدوات تخريب جد محدودة كالفؤوس والمناجل والسواطير والخناجر والعصي...الخ، وزعت هذه الأخيرة على المجاهدين والمواطنين لتنفيذ الهجمات، ولقد أثبتت الأحداث التاريخية بأنه رغم بساطة وسائل الهجوم إلا أنها نجحت في ضرب المنشآت الحساسة للاستعمار الفرنسي.

ناحية سكيكدة: في سكيكدة وضواحيها قام المجاهدون بالهجوم على مركز الشرطة والدرك، وثكنات الجيش والحرس الجمهوري المنتقل، والقيادة العامة للجيش، البنك المركزي، ومحطة الكهرباء، والحانات والمطاعم، وبعض المحلات التجارية والساحات العمومية لكن الهجوم لم يكن من جهة واحدة لأن الكلون تدخلوا بطلقات نارية من النوافذ والشرفات، الهجوم تواصل لمدة أربع ساعات ابتداء من الساعة الثانية عشر إلى الرابعة مساء، استطاع المهاجمون أن يلحقوا من خلاله خسائر معتبرة بصفوف العدو.

- **ناحية القل**: دام الهجوم أربع ساعات، وكان على الأماكن الآتية:

- ثكنتا الدرك والجيش قتل على إثرها ضابط ودركي.
- حرق ثلاثة مراكز للفلين والخشب.
- تخريب معمل السمك، قتل أربع وعشرون فرنسيا، واستشهد اثنان وسبعون شهيدا، وأحد عشر جريحا.

ناحية قسنطينة : كان الهجوم على الأماكن الآتية:

- هجوم بشارع كليمانصو وبروسي منتي دوريو، أدى بحياة مفتش للشرطة.
- هجوم على مركز شرطة الدائرة الثانية، ومؤسسة برنار لبيع الأسلحة، والاستيلاء على الذخيرة.

هجوم على مطعم غامبرون، قتل فيه، أوربي وجرح أربعة عشر، وانفجار قنبلة في عمارة يقطنها الكولونيل "فيرسي"(Ferci)، قنبلة في جسر القنطرة، كما شهدة الخروب والحروش ومليلية وغيرها العديد من الهجومات.

رابعا: نتائج الهجوم:

-من الناحية العسكرية:

1. لقد أعطى هجوم 20 أوت 1955 العمل العسكري دفعا قويا وخلق التفافا واستجابة جماهيرية لا مثيل لها، حيث التحق العديد من الجزائريين بالثورة، وبلغ عدد المجاهدين في المنطقة الثانية بعد الهجوم 2000 مجاهد وحوالي 5000 مسبل.
2. القضاء نهائيا على ما كان يروجه العدو بجميع وسائله العسكرية والدعائية على أن الثورة ليست إلا تمردا محليا سيقضى عليها خلال 3 أشهر.
3. إبراز قوة الثورة وقدرتها على ضرب العدو في أي زمان ومكان.
4. اتساع نطاق الثورة وتشتت قوات العدو وتحويل أنظاره عن الاوراس .
5. أصيبت القوات العسكرية الاستعمارية بخيبة كبيرة، مما أثر على نفسية الجنود الذين أصبحوا يرون في جيش التحرير الوطني الفزع الأكبر والخطر الدائم على حياتهم.

النتائج السياسية: يمكن تقسيمها على النحو التالي:

أ- **داخليا:** تتلخص في:

1. إحداث القطيعة التامة بين الجماهير والسلطات الاستعمارية حيث أكد التفاف عامة الشعب حول الثورة التحريرية.
2. القضاء النهائي على السياسة الإصلاحات، فبفضل 20 أوت تم القضاء نهائيا على ما كان "سوستيل" يدعو إليه لتحقيق إصلاحاته المغرضة لإجهاض الثورة.
3. تأسيس المجالس الشعبية فقد تمخض عن هجوم 20 أوت نظام مدني، حيث بدأت الثورة منذ نوفمبر 1955في تنصيب المجالس الشعبية على مستوى القرى والدواوير بالمنطقة الثانية وتعيين المسؤولين لها، وكذلك وضع نظام لدفع الاشتراكات وتموين جيش التحرير الوطني.
4. بلورة التضامن الشعبي بتعمق القناعة الثورية، وتكريس المصير وتجسيد الشمولية.

ب- **خارجيا:**

1-حطم هجوم 20 أوت الحصار الإعلامي الفرنسي الغربي الإمبريالي على الثورة، فانتقلت إلى المحافل الدولية وأصبحت تتصدر الصفحات الأولى في جرائد العالم، بحيث أنها تلقت دعوة للحضور في مؤتمر باندونغ التي شاركت فيها 29 دولة، ومن نتائجه مصادقة هذه الدول على لائحة مصيرية تطالب بحق الجزائر في الاستقلال، كما تعهدت هذه الدول بتموين القضية الجزائرية، وهكذا خطت الثورة خطوة نوعية وفتحت الطريق نحو إدخالها في المجال الدولي عبر الأمم المتحدة، وفي 20 سبتمبر 1955 طالبت 15 دولة من كتلة باندونغ تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم المتحدة، وذلك بالرغم من احتجاج فرنسا وادعائها بأن القضية الجزائرية قضية داخلية، وأنّ الجزائر فرنسية "بمقتضي مرسوم 1834، ففي 1أكتوبر 1955 تم ادراج القضية الجزائرية في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ويعتبر تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم بعد مرور 10أشهر فقط على اندلاع الثورة المسلحة نصرا كبيرا.

2-تعزيز التضامن بين الشعبين الجزائري والمغربي حيث تزامن هجوم 20 أوت 1955 مع الأحداث التي قام بها المغاربة ضد الاستعمار الفرنسي، بمناسبة الذكرى الثانية لخلع الملك المغربي محمد الخامس عن عرشه ونفيه خارج بلاده.

3- قيام الدول العربية بمساعي لصالح القضية الجزائرية، فقد شكلت الدول العربية على إثر المجازر المرتكبة من قبل فرنسا في حق الجزائريين بالشمال القسنطيني وفدا لتولي النضال عن قضايا شعوب المغرب العربي، وعبرت هذه الدول (العراق، مصر، سوريا، الأردن، لبنان، السعودية)عن مساندتها للقضية الجزائرية بتنظيمها لمظاهرات وإضرابات وعن طريق الإعلام بجميع أنواعه، كما أصدرت بيانات أعلنت عن غضبها وتأسفها وتنديدها لما يجري في الجزائر.

خامسا: ردود فعل السلطات الفرنسية:

بعد هجومات الشمال القسنطيني لم تعد فرنسا تفرق بين المتفرج والمشارك الحقيقي في الثورة، فقد اعتمدت على سياسة القتل العشوائي والأرض المحروقة، فقامت باتخاذ إجراءات عسكرية وسياسية لمواجهة الثورة.

-**الإجراءات العسكرية** :من بين الإجراءات العسكرية ما يلي :

1-تعميم القمع الوحشي على المواطنين الجزائريين، فقد قامت القوات الاستعمارية بمجازر انتقامية رهيبة وواسعة النطاق اتسمت بالهمجية الوحشية، وبأقصى أنواع التعذيب والتنكيل والقتل الجماعي لسكان القرى والمشاتي والمدن، نذكر مجزرة سكيكدة بالملعب البلدي، الذي ذهب ضحيتها ما يزيد عن 1.500 مواطن، كما تم تنفيذ حكم الإعدام بحق 5000 مواطن في مشتة الزفزاف بضواحي سكيكدة ودفن الكثير منهم أحياء في خنادق.

2-تعزيز القوات الاستعمارية العاملة في الجزائر، فقد اتخذت السلطات الاستعمارية في 23 أوت 1955 قرارا يقضي باستدعاء الفئة الأولى من مجندي 1945 البالغ عددهم 104.000 مجند لتوجيههم إلى الجزائر ومن جهة ثانية فقد نشرت الصحافة الفرنسية والدولية أن الحاكم العام بالجزائر قد طلب من حكومته بباريس على إثر هجوم 20 أوت 1955 إمداده بـ60.000 جندي يضافون إلى 300.000 جندي.

3-تعميم مكاتب الشؤون الأهلية (لاصاص) (S.A.S) في أنحاء القطر الجزائر لاستمالة السكان المدنيين عن طرق تلبية الحاجيات الأساسية ومساعدتهم على تحسين معيشتهم، وإعلان السلطات الاستعمارية فرض حالة الحصار (حالة الطوارئ)، وإقرار الإدارة الفرنسية للمناطق المحرمة.

-**على الصعيد السياسي**: بالنسبة للميدان السياسي، فقد قامت فرنسا بحملة جديدة تمثلت في الاعتماد على الوسائل التالية:

a. رفع شعار سياسة الادماج والتي لخص فحواها إدغار فور رئيس الوزراء الفرنسي يوم 25سبتمبر1955 بقوله : " ليس هناك من خيار نسعى إليه...إن هدفنا الآن هو بلوغ الدمج الكامل للجزائر ".
b. طرح القضية الجزائرية أمام الجمعية الفرنسية يومي 11-12أكتوبر1955، ومناقشة مسألة الهجومات وافتتحت الجلسة بخطاب ألقاه رئيس الحكومة الفرنسية "إدغار فور" أوضح فيه أن الجنسية الجزائرية غير موجودة.

c. إنشاء ميليشيات من المعمرين لمواجهة الثورة.

الخاتمة

هكذا يمكننا القول أن هجومات 20 أوت 1955 محطة هامة من تاريخ الثورة التحريرية، تلقى فيها العدو ضربات جريئة من طرف المجاهدين، ومن طرف الشعب فأحدثت نتائج هامة داخل الوطن وخارجه، ففي الداخل وضعت هذه العمليات حدا نهائيا للذين بقوا لهذا التاريخ مترددين في الالتحاق بالثورة واستطاعت الثورة أن تجبر هؤلاء على الإيمان بها والوقوف بجانبها، وفي الخارج أيقن الأعداء والأشقاء أن الثورة سائرة وفق برنامج محكم لتحقيق أهدافها.

الهوامش

1. موسى توابتي ورابح عواد ، هجوم 20 أوت 1955 ، درا البعث ، قسنطينة 1992.
2. شهادة علي كافي في مجلة الذاكرة، حول يوم 20 اوت 1955 أسبابه ونتائجه ، ع:3، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995.
3. محمد عباس ، ثوار ...عظماء ، مطبعة دحلب ، الجزائر 1991.
4. أحسن بومالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد .
5. عثمان الطاهر علية ، الثورة الجزائرية امجاد وبطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد .
6. عمار قليل ، ملحمة الجزائر الجديدة ،ج1، قسنطينة 1991.
7. أزغيدي محمد لحسن ، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989 .
8. صلاح العقاد ، الجزائر المعاصرة ، معهد الدراسات العالية ، القاهرة.
9. مصلحة البحث والتوثيق، الشمال القسنطيني 20أوت1955، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، ع3، 2000.
10. المتحف الوطني للمجاهد ، أهداف وغايات 20 اوت 1955 ، مجلة أول نوفمبر 1997.
11. يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين ،ج2، ط1، منشورات متحف المجاهد ، 1996.